١-سياسة أمراء الموصل في العصر السلجوقي

من خلال كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)

م. د. جنان عبد الخالق علي

جامعة الموصل / مركز دراسات الموصل

المقدمة:

عاش العالم الإسلامي في أواخر (القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد) في حالة من الضعف والوهن، جعلته مقسماً إلى عدة دول تسيطر على بعض المناطق الهامة في الشرق الإسلامي، لاسيما أن الخلافة العباسية في بغداد بدأت تظهر عليها علامات الضعف منذ سيطرة العناصر الفارسية والتركية التي تقلدت المناصب الهامة في الدولة، فنتج عنها صراع بينها وبين العناصر العربية بسبب تطلع كل منهما إلى السلطة. وأفقد هذا الصراع الخلافة العباسية هيبتها في قلوب الناس وأضعف سلطتها المركزية، فبدأ حكام الولايات في الاستقلال بولاياتهم والاكتفاء بالولاء الرسمي للخليفة[١]، وأدى ذلك إلى قيام إمارات عربية شبه مستقلة عن الخلافة العباسية كما حدث في مدينة الموصل، ومن هذه الإمارات التي اتخذت من مدينة الموصل قاعدة لها الدولة الحمدانية (٢٩٢-٣٨٠هـ/٩٠٥-٩٩٠م) ودولة بني عقيل (٣٨٠-٤٨٩هـ/٩٩٠-١٠٩٥م)، ثم أصبحت الموصل بعد سقوط دولة بني عقيل على يد القائد السلجوقي قوام الدولة كربوقا سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٥م) جزءا من الدولة السلجوقية وتوالى على حكمها عدد من الأمراء السلاجقة، واستمر حكمهم حتى سنة (٥٢١هـ/١٠٢٧م) عندما انتقل الحكم إلى عماد الدين زنكي مؤسس دولة الأتابكة في الموصل التي استمرت حتى سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م)[٢].

ومن الكتب التي تحدثت عن السلاجقة بشكل عام، وعن حكم ولاتهم للموصل بشكل خاص كتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، وهو يعد من المصادر التاريخية الحولية المهمة التي زودتنا بنصوص قيمة تتعلق بجوانب من سير السلاطين السلاجقة، والحروب التي نشبت بين أفراد البيت السلجوقي الحاكم بعد وفاة جلال الدولة ملكشاه الأول (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م)، وكذلك عن الحكام المعينين من قبل هؤلاء السلاطين على المدن التي سيطروا عليها، فضلاً عن دور المقاومة السلجوقية للصليبيين وما قام به الحكام المحليون وصولاً إلى الدولة الزنكية[٣]. ومؤلف هذا الكتاب هو سبطُ ابن الجوزي، محدث وفقيه ومؤرخ وواعظ مشهور،

---

(١) المستادي، ريهام، (الدولة الخوارزمية ومواجهتها للزحف المغولي)، دورية كان التاريخية، السنة: ٢٠١٠، ع٨٨/٦٣-٦٧، والبحث نقلاً عن المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الإلكتروني:

www.ivsl.org

(٢) الجميلي، رشيد عبد الله، إمارة الموصل في العصر السلجوقي (٤٨٩-٥٢١هـ)، ط١، مطبعة اوفسيت الحديثي، (بغداد: ١٩٨٠)، ص ٤-٥؛ والسلاجقة هم من الأقوام التركية التي كانت تقطن المنطقة الممتدة ما بين تركستان والصين، وسموا بذلك نسبة إلى سلجوق زعيمهم ومؤسس دولتهم. ينظر: الصائغ، سليمان، تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، (مصر: ١٩٢٣)، ١/١٤٥.

(٣) الجميلي، إمارة الموصل، ص ١٨.

ولد في بغداد سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م) وتلقى علومه بها ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها، وعمل فيها مدرساً وكاتباً وبقي بها إلى أن توفي سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)[٤].

وقد أورد لنا سبط ابن الجوزي مادة تاريخية عن سياسة بعض الأمراء السلاجقة الذين حكموا الموصل في العصر السلجوقي في الفترة الممتدة ما بين (٤٨٩-٥٢١هـ/١٠٩٥-١١٢٧م)، وهم قوام الدولة أبو سعيد كربوقا، شمس الدولة جكرمش، قلج أرسلان، جأولي سقّاوة، مودود بن ألتونتكين، قسيم الدولة أق سنقر البُرسقي، عز الدين مسعود بن أق سنقر البُرسقي. كما أورد ما جرى في هذه الفترة من أحداث سياسية في الموصل بما فيها دور السلاطين السلاجقة في تعيين هؤلاء الأمراء على الموصل، ومن ثم الصراعات الداخلية بين الأمراء أنفسهم، فضلاً عن دور الموصل في مقاومة الغزو الصليبي. وقد تحدث سبط ابن الجوزي عن هؤلاء الأمراء أو الحكام في صفحات متفرقة من كتابه (مرآة الزمان)، وذلك حسب التسلسل الزمني لتاريخ الحوادث وكانت معلوماته موجزة عنهم، ركز فيها على الجوانب السياسية والعسكرية.

وعلى ضوء ذلك تم تقسيم البحث إلى العديد من الفقرات وهي: المقدمة، أولاً: اسم سبط ابن الجوزي ونسبه وولادته. ثانياً: نبذة عن نشأته ورحلاته العلمية. ثالثاً: المناصب التي تولاها. رابعاً: وفاته. خامساً: مؤلفاته. سادساً: أمراء الموصل في العصر السلجوقي كما وردت في كتاب مرآة الزمان، وهذه الفقرة قُسمت بدورها إلى مواضيع عدة شملت:

١- الأمراء السلاجقة في الموصل وكيفية سيطرتهم عليها وعلاقتهم بالسلاطين السلاجقة.
٢- جهاد أمراء الموصل ضد الصليبيين.

أولاً: اسم سبط ابن الجوزي ونسبه وولادته

هو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن حسام الدين بن قزاوغلي[٥] بن عبد الله الحنفي التركي البغدادي ثم الدمشقي المشهور بسبط ابن الجوزي، وأمه رابحة بنت الشيخ جمال الدين عبد الرحمن أبي الفرج بن الجوزي الواعظ[٦]، وقد كان حسن الصورة[٧]، ولد في بغداد سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م)[٨] ونشأ فيها ورباه جده جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ثم انتقل إلى دمشق واستوطن فيها.[٩]

---

(٤) المرجع نفسه والصفحة.

(٥) قزادغلي: بكسر القاف وسكون الزاي، لفظ تركي معناها (ابن البنت) أي السبط. ينظر: السلامي، أبو المعالي محمد بن رافع، تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار، صححه وعلق حواشيه: عباس العزاوي، ط٢، الدار العربية للموسوعات، (بيروت: ٢٠٠٠)، ص ١٩٠.

(٦) ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ط٢، مكتبة المعارف، (بيروت: ١٩٧٧)، ١٩٤/١٣.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٤/١٣.

(٨) اليونيني، قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد بن أحمد، ذيل مرآة الزمان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر اباد الدكن: ١٩٥٤)، ٤٢/١.

(٩) الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال سرحان، ط١١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (بيروت: ٢٠٠١)، ٢٩٦/٢٣.

ثانياً: نبذة عن نشأته ورحلاته العلمية

نشأ سبط ابن الجوزي في بغداد التي لم تكن في أوج نشاطها المعرفي في تلك الحقبة (القرن الرابع وحتى منتصف القرن الخامس للهجرة/القرن العاشر ومنتصف القرن الحادي عشر للميلاد)[١٠]. بل كان فيها بقايا الحركة العلمية التي يتصدرها الكثير من الشيوخ أبرزهم أبو الوقت عبد الأول بن عيسى (ت ٥٥٣هـ/١١٥٨م) في رواية الحديث وابن الطلاية أحمد بن أبي غالب (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) في القراءات وأحمد بن عبد الله الخشاب (ت ٥٥٢هـ/١١٥٧م) في الادب والنحو[١١]. ومن بعدهم عبد الله بن منصور الباقلاني (ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م) في القراءات أيضا، ويحيى بن سعيد الواسطي (ت ٥٩٤هـ/١١٩٧م) في الادب والإنشاء، وأبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) في الوعظ والتدريس[١٢].

وكانت الخلافة العباسية في بغداد قد تنامت قوتها نسبياً في عهد الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) الذي "لم يجد ضيماً ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه ولا مخالف إلا دفعه"[١٣]. في ظل هذه البيئة الثقافية والسياسية كان لا بد لسبط ابن الجوزي أن يتأثر بشيوخ عصره وأبرزهم جده ابن الجوزي[١٤].

أما مجالس الوعظ التي كان يواظب سبط ابن الجوزي على حضورها في بغداد، فهي قد أخذت على نحو مؤكد حيزاً من وقته، وقد انعكست تلك المجالس على طريقة تفكيره وطموحاته، ومما لا شك فيه أن مجالس وعظ جده ابن الجوزي لها الحصة الكبرى من حضوره [١٥].

وفضلاً عن ذلك، اكتسابه العلم والمعرفة على يد الكثير من الشيوخ من بغداد ومن مدن أخرى زارها كالموصل ودمشق وحلب، ومثل هؤلاء الشيوخ مختلف العلوم والمعارف التي نبغ فيها، إذ كانوا من كبار القراء والمحدّثين والوعّاظ والادباء والنحويين. فمن شيوخه من بغداد المحدث ابو القاسم يحيى بن اسعد بن يحيى الازجي (ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م)[١٦]. والمحدث ابو الفرج بن عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م)[١٧]. والشيخ ابو محمد عبد الله بن أحمد بن ابي المجد الحربي (ت ٥٩٨هـ/١٢٠١م)[١٨]. أما شيوخه من الموصل التي رحل اليها في أواخر شهر المحرم من سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)[١٩] فمنهم المحدث والخطيب ابو طاهر أحمد بن عبد الله بن أحمد الطوسي، وقد سمع عليه سبط ابن الجوزي الحديث الشريف وكانت وفاة

---

(١٠) آل فتاح، شكيب راشد بشير، سبط ابن الجوزي مؤرخاً للحروب الصليبية (دراسة في سيرته ونصوصه التاريخية)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل: ٢٠٠٧)، ص ٣٦.

(١١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، مشيخة ابن الجوزي، دار الغرب الإسلامي، (اثينا: ١٩٨٠)، ص ٤١ وما بعدها.

(١٢) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن: ١٩٥١)، ٤٥٣/٨.

(١٣) السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، مطبعة منير، (بغداد: ١٩٨٢)، ص ٤٤٨.

(١٤) آل فتاح، سبط ابن الجوزي مؤرخاً للحروب الصليبية، ص ٣٦.

(١٥) المرجع نفسه، ص ٣٨.

(١٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٥٥/٨.

(١٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠/١٣.

(١٨) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٣٦١/٢١.

(١٩) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥١٦/٨.

ابي طاهر سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٥م)[٢٠] والفقيه والمحدث ابو القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد الطوسي (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)[٢١]. ثم استأنف سبط ابن الجوزي رحلته متجهاً إلى بلاد الشام ومن المدن التي زارها دمشق التي رحل إليها أيضا في سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٤م)[٢٢]، ومن شيوخها الذين تتلمذ عليهم وسمع منهم سبط ابن الجوزي في المحدث عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد (ت ٦٠٧هـ/١٢١٠م) والمحدث الآخر محمد بن أحمد بن محمد المقدسي (ت ٦٠٧هـ/١٢١٠م)[٢٣].

فضلاً عن ذلك فقد كان لسبط ابن الجوزي طلاب علم تتلمذوا عليه وسمعوا منه الحديث الشريف والفقه والتفسير ومنهم موسى بن ابراهيم بن يحيى الشقراوي (ت ٧٠هـ/١٣٠٢م)[٢٤]، وعثمان بن محمد بن عثمان (ت ٧١٣هـ/١٣١٣)[٢٥]، ومحمد بن أحمد بن ابي الهيجاء المعروف شمس الدين الصالحي (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)[٢٦].

ونظراً لمكانته العلمية وعطائه الثرّ إذ يعد أحد علماء المسلمين المشهورين، فقد أشاد به العديد من المؤرخين الذين ترجموا له، فعلى سبيل المثال قال عنه الذهبي: "انتهت إليه رئاسة الوعظ وحسن التذكير ومعرفة التاريخ وكان حلو الإيراد لطيف الشمائل مليح الهيئة وافر الحرمة له قبول زائد وسوق نافق بدمشق"[٢٧]. وقال عنه اليونيني: "وكان إماماً عالماً فاضلاً منقطعاً عن الناس والتردد إليهم متواضعاً لين الكلمة"[٢٨]. أما السلامي فيصفه بأنه كان "كيساً ظريفاً متواضعاً كثير المحفوظ..."[٢٩].

ثالثاً: المناصب التي تولاها

نظراً للمكانة العلمية التي كان يتمتع بها سبط ابن الجوزي، والمؤهلات التي كان يمتلكها، فقد تولى إلى جانب عقده مجالس الوعظ في الجامع الأموي وجامع قاسيون، الإفتاء[٣٠] والتدريس في عدد من مدارس دمشق، ففي سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) فوّض إليه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق (٦١٥-٦٢٤هـ/١٢١٨-١٢٢٧م) التدريس في المدرسة البدرية[٣١] التي كان سكنه فيها[٣٢].وفي سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) فوض إليه الملك المعظم أيضا التدريس بالمدرسة الشبلية[٣٣]. وكذلك تولى التدريس بالمدرسة

---

(٢٠) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٤٢/١.

(٢١) المصدر نفسه الجزء والصفحة

(٢٢) ابن كثير، ١٩٤/١٣.

(٢٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٤٢/١.

(٢٤) ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، دار الافاق الجديد، (بيروت: د.ت)، ٧/٦.

(٢٥) المصدر نفسه، ٣٢/٦.

(٢٦) السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص ١٩٠.

(٢٧) سير أعلام النبلاء، ٢٩٦/٢٣.

(٢٨) ذيل مرآة الزمان، ٤٣/١.

(٢٩) تاريخ علماء بغداد، ص ١٩١.

(٣٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٩٦/٢٣.

(٣١) المدرسة البدرية: وهي مدرسة تقع قبالة المدرسة الشبلية على سفح جبل قاسيون بناها بدر الدين المعروف ببلال ابن الداية أحد أمراء نور الدين محمود سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م). النعيمي، عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٠)، ٣٦٥/١.

(٣٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٤/١٣.

(٣٣) اليونيني، ٤٤٣/١ والمدرسة الشبلية: هي التي بناها شبل الدولة كافور سنة (٦١٦هـ/١٢٢٦م) خادم حسام الدين بن محمد ابن أخت صلاح الدين وهي واقعة بسفح جبل قاسيون فوق جسر ثورا من صالحية دمشق وهي غير المدرسة الشبلية الجوانية الواقعة وسط دمشق ولم تذكر المصادر سنة

العزية البرانية[٣٤]. وبالمدرسة العزية الحنفية[٣٥]. وفي سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م) فوض إليه الأمير عز الدين أيبك النظر في أوقافه ومدارسه وابواب البر.[٣٦]

رابعاً: مؤلفاته

كان لسبط ابن الجوزي مؤلفات عديدة في فنون مختلفة من العلم، كالتفسير والحديث النبوي الشريف والفقه والتاريخ والعقيدة والسلوك، ومن هذه الكتب التي ألّفها:

١.الأحاديث المستعصميات الثمانيات التي خرّجها لأمير المؤمنين المستعصم بالله العباسي[٣٧].
٢.الانتصار لإمام أئمة الأمصار، ويعني به الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى، وهو كتاب مطبوع[٣٨].
٣.إيثار الإنصاف في آثار الخلاف، وهو مجلد واحد[٣٩]، وقد طبع بدار السلام بالقاهرة سنة ١٩٨٧م بتحقيق ناصر العلي الناصر الخليفي في مجلد واحد وله طبعة أخرى بدار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٩٩٨م بتحقيق سيد مهنى[٤٠].
٤.تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة، وهو في ذكر مناقب الامام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وسائر الأئمة وهو كتاب مطبوع[٤١].
٥.تفسير كبير في تسعة وعشرين مجلداً[٤٢].
٦.مرآة الزمان في تواريخ الأعيان[٤٣]، وهناك تسميات أخرى لهذا الكتاب وردت في المصادر التاريخية التي ترجمت لسبط ابن الجوزي، فقد سمي (مرآة الزمان)[٤٤] و(مرآة الزمان في تاريخ الأعيان)[٤٥]، وكذلك سمي (مرآة الزمان في وفيات الفضلاء والأعيان)[٤٦]. وهو كتاب ضخم تجاوز عدد أجزائه العشرين جزءا[٤٧]. ويعزو سبط ابن الجوزي السبب في تسمية هذا الكتاب

بنائها. ينظر: ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (دمشق: ١٩٦٢)، ج٢ق١/٢٢٧.

(٣٤) المدرسة العزية البرانية: وهي تقع فوق الوراقة بالشرف الأعلى شمالي ميدان القصد خارج دمشق أنشأها عز الدين أيبك سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أحد مماليك الملك المعظم عيس وبلغ عنده مرتبة عالية. ينظر: ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢ق١/٢٢١؛ النعيمي، الدارس، ١/٤٢٣.

(٣٥) المدرسة العزية الحنفية: وتعد من ضمن مدارس عز الدين ايبك وهي بالجامع الاموي جوار مشهد علي ولم تكن كباقي مدارس عز الدين في استقلالية بنايتها. ينظر: ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢ق١/٢١٦.

(٣٦) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي وعلي بن عبد الله، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وكامل الخراط وعمار ريحاوي، ط١، الرسالة العالمية، (بيروت: ٢٠١٣)، ٢٢/١٧٢-١٧٣.

(٣٧) بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، ترجمة: السيد يعقوب بكر، مراجعة رمضان عبد التواب، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٦٧)، ١/٣٤٧.

(٣٨) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،مكتبة المثنى، (بغداد: د. ت)، مج ١/١٧٢.

(٣٩) السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص ١٩١.

(٤٠) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ١/٢٦.

(٤١) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٤٢) السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص ١٩١.

(٤٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ١/ صفحة العنوان.

(٤٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/٢٩٦.

(٤٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/١٦٤٧.

(٤٦) السلامي ، تاريخ علماء بغداد، ص ١٩١.

(٤٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٩٤.

بمرآة الزمان إلى قوله: "ليكون اسماً يوافق مسمى ولفظاً يطابق معنى". وبالفعل كان ما اراد، فالناظر في هذا الكتاب، كأنما ينظر من خلال مرآة زمانية تعكس له مجريات أحداث الأمم السالفة، ووقائع العصور الغابرة، فكأنه يراها رأي العين[٤٨].

ويعد هذا الكتاب من أهم مصنّفات سبط ابن الجوزي وأشهرها، ومن المراجع المهمة التي لا غنى عنها لكل باحث، لما يتضمّنه من أحداث موثقة وأخبار موسعة. وهو من التواريخ الإسلامية الحولية، إذ اتخذ فيه سرد الأحداث منهجاً له ثم ألحق الوفيات في السنة الواحدة. لذلك هو موسوعة تاريخية كبيرة لاشتماله على أحداث فترة زمنية طويلة[٤٩] تمتد من ذكر بدء الخليفة إلى أحداث ووفيات سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، وهي السنة التي توفي فيها سبط ابن الجوزي في الشهر الأخير منها[٥٠].

وتتأول في أول مرآة الزمان أخبار الخليقة وفصولاً في التقاويم والزمن ومدة انقضاء العالم، فضلاً عن جوانب الطبيعة من جغرافية ومناخ وحركة النجوم والكواكب، مسترسلاً في ذكر الملائكة والشياطين وأحوال الآخرة وخلق آدم (υ) وقصص الأنبياء الآخرين من بعده، وصولاً إلى سيرة الرسول محمد (ρ)[٥١]. وتتوالى بعد ذلك الأحداث التي ذكرها سبط ابن الجوزي في كتابه وصولاً إلى الفترة موضوع البحث الممتدة ما بين (٤٨٩-٥٢١هـ). فقد أعطى سبط ابن الجوزي للسلاجقة مساحات واسعة من كتابه، لاسيما المقاومة السلجوقية للصليبيين وما قام به الحكام المحليون، كالأمراء السلاجقة في مدينة الموصل من مقاومتهم للصليبيين وصولاً إلى الدولة الزنكية[٥٢].

ونظراً لأهمية هذا الكتاب، فقد نال استحساناً وقبولاً من المؤرخين الذين كتبوا عن سبط ابن الجوزي، ومنهم على سبيل المثال اليونيني الذي اختصر كتاب مرآة الزمان وسماه (ذيل مرآة الزمان)، ذكر بأن سبط ابن الجوزي "جمع فيه أشياء مليحة جداً وأودعه كثيراً من الأحاديث الشريفة النبوية صلوات الله وسلامه على قائلها-وجملة من أخبار الصالحين وقطعة كبيرة من الأشعار المستحسنة..."[٥٣]. أما ابن كثير فوصفه بأنه من احسن التواريخ[٥٤]. وقد صدر لهذا الكتاب أكثر من طبعة، وآخرها الطبعة التي أصدرتها دار الرسالة العالمية في دمشق سنة ٢٠١٣ مقسمة إلى ثلاثة وعشرين جزءا.

خامساً: وفاته

بعد حياة حافلة بالعلم والوعظ والتدريس والتصنيف، وافت المنية سبط ابن الجوزي في دمشق ليلة الثلاثاء في الحادي والعشرين من شهر ذي الحجة سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وهو الثالثة والسبعين من عمره في منزله بجبل قاسيون، ودُفن بتُربته بالجبل إلى جانب زوجته وابنيه علي وابراهيم، وكانت جنازته مهيبة حافلة، حضرها خلق عظيم وفي مقدمتهم حاكم دمشق الملك الناصر يوسف بن العزيز ومن دونه من الأمراء[٥٥]

---

(٤٨) مرآة الزمان، ٧/١.

(٤٩) ال فتاح، سبط ابن الجوزي مؤرخاً، ص ١٣١.

(٥٠) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٤٢/١.

(٥١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٥٠/١-١٨٥.

(٥٢) ال فتاح، سبط ابن الجوزي مؤرخاً، ص ٣.

(٥٣) ذيل مرآة الزمان، ٤١/١.

(٥٤) البداية والنهاية، ١٩٤/١٣.

(٥٥) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٤٢/١-٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٤/١٣.

سادساً: أمراء الموصل في العصر السلجوقي من خلال كتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)

يمكن تقسيم المادة التاريخية التي وردت عند سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان عن أمراء الموصل في العصر السلجوقي على النحو الآتي:

١- الأمراء السلاجقة في مدينة الموصل وكيفية سيطرتهم عليها وعلاقتهم بالسلاطين السلاجقة:

تطلع السلاجقة للاستيلاء على الموصل منذ أواخر النصف الأول من القرن (الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد)، فقاموا بعدة محاولات استهدفت القضاء على حكم الأمراء العرب من بني عقيل في الموصل، وإقليم الجزيرة الفراتية، ومما يذكر أن الدولة العقيلية أشرفت على الزوال بعد تعاظم نفوذ السلاجقة واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء، وكان مصرع مسلم بن قريش (٤٥٣-٤٧٨هـ/١٠٦١-١٠٨٥م) خلال المعركة التي دارت بينه وبين قتلمش السلجوقي (٤٧٠-٤٧٩هـ/١٠٧٧-١٠٨٦م) سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) إيذاناً بنهاية حكم العقيليين في الموصل وإقليم الجزيرة، بسبب السياسة التي اتبعها أمراؤهم والتي أدت إلى انقسامهم على أنفسهم وتحالفهم مع أمراء المدن المجاورة تحقيقاً للمزيد من المكاسب غير مبالين بالنتائج التي سوف تترتب على هذه السياسة[٥٦]، وبعد مقتل الأمير إبراهيم بن قريش العقيلي (٤٧٨-٤٨٦هـ/١٠٨٥-١١٩٣م) هو وعدد من الأمراء على يد الملك تاج الدولة تتش السلجوقي (٤٧٠-٤٨٨هـ/١٠٧٧-١٠٩٥م) وذلك سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م)، لجأ بنو عقيل والأمير علي بن مسلم (٤٨٦-٤٨٩هـ/١٠٩٣-١٠٩٥م) إلى السلطان بركياروق (٤٧٢-٤٩٨هـ/١٠٧٩-١١٠٤م) لإعادة إمارة الموصل اليهم، فوافق الأخير على طلبهم وعادوا إلى الموصل، ولم يكد علي بن مسلم يستقر بإمارة الموصل حتى نازعهُ أخوه محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي وأعلن العصيان[٥٧]. وكان الأخير قد استنصر بالأمير كربوقا[٥٨] على أخيه علي بن مسلم العقيلي صاحب الموصل، وكان كربوقا واخوه التونتاش قد التف حولهما الكثير من العساكر واستولوا على حران، وغدر كربوقا بمحمد بن مسلم وقبض عليه وقتله، وسار كربوقا إلى الموصل[٥٩]، وحاصرها مدة ولم يظفر منها بشيء، فسار عنها إلى بلد حيث غدر بمحمد العقيلي وقتله، ثم عاد إلى الموصل وحاصرها حصاراً شديداً حتى نفذت أقواتها. فلما ضاق الحال بصاحبها علي بن مسلم فارقها إلى الحلة، ودخل كربوقا الموصل سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٥م) وقد عدّ أول حاكم سلجوقي عليها وانقرضت دولة بني عقيل[٦٠]. وأصبحت الموصل تحكم مباشرة من قبل السلاجقة الذين كانوا يقطعونها لأحد الأمراء المقدمين عندهم على أن يرتبط هؤلاء ارتباطاً مباشراً بالسلطان السلجوقي فيخطبون باسمه ويخضعون لأوامره، ويوفون بكافة الالتزامات المترتبة على هذا الإقطاع[٦١].

---

(٥٦) الجميلي، رشيد عبد الله، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية ٤٨٩-٥٢١هـ/١٠٩٥-١١٢٧م، موسوعة الموصل الحضارية، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٩٢)، مج١٢٢/٢.

(٥٧) المرجع نفسه، مج١٢٢/٢-١٢٣.

(٥٨) كربوقا: هو ابو سعيد قوام الدولة كربوقا، كان من كبار مماليك السلطان ملكشاه وقد انحاز إلى جانب ولده بركياروق في نزاعه ضد عمه تتش، وقع مع أخيه التونتاش في الأسر، وبعد مصرع تتش تم الاتّفاق بين بركياروق ورضوان بن تتش على إطلاق سراحهما. ينظر: الجميلي، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية، موسوعة الموصل، مج١٥١/٢.

(٥٩) خليل، عماد الدين، (قوام الدولة أبو سعيد كربوقا)، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، (الموصل، ١٩٧٤)، ع١٥٧/٥.

(٦٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٥/١٢؛ الصائغ، تاريخ الموصل، ١٥٤/١.

(٦١) الجميلي، إمارة الموصل، ص ٩٨.

وبذلك توالى على الموصل عدد من الأمراء السلاجقة استمر حكمهم حتى سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م)، إذ انتقل الحكم إلى عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة اقسنقر (٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦م) مؤسس دولة الأتابكة في الموصل[٦٢].

وأول أمير سلجوقي ذكره سبط ابن الجوزي في كتابه (مرآة الزمان) هو كربوقا حيث ورد ذكره في أحداث سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) التي تتعلق بموقف هذا الأمير من الجهاد ضد الصليبيين أو ما يسميهم سبط ابن الجوزي بالإفرنج[٦٣]، وسيأتي الحديث لاحقاً عن هذا الموضوع.

والأمير الثاني من أمراء الدولة السلجوقي هو شمس الدولة جكرمش الذي كان من القادة السلاجقة، وأصبح حاكماً على الموصل سنة (٤٩٥هـ/١١٠١م) واستمر في الحكم إلى سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م)[٦٤]. ومن الجدير بالذكر ان سبط ابن الجوزي لم يشر إلى اسمه بشكل صريح في أحداث سنة (٤٩٧هـ/١١٠٣م) فيما يتعلق بالصلح الذي وقع بين الإخوة بركياروق ومحمد وسنجر[٦٥] أولاد السلطان السلجوقي ملكشاه[٦٦]، على أن يكون لمحمد أرمينية وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل التي كان أميرها السلجوقي في تلك السنة شمس الدولة جكرمش، أما سنجر فتكون له خراسان، ولبركياروق همذان وأصبهان والري وبغداد وأعمالها، أما الخطبة في بغداد فتكون أيضا للإخوة الثلاثة بركياروق ومحمد وسنجر[٦٧].

غير أنه في موضع آخر وبالذات في سنة (٥٠٠هـ) فإن سبط ابن الجوزي أشار إلى اسمه وهو جكرمش وأنه صاحب الموصل أي أميرها، وأنه جمع ثروة كبيرة عندما تولى حكم الموصل ومع هذا فإنه كان ذا سيرة محمودة وعادلاً في المعاملة مع الرعية. ثم تحدث سبط ابن الجوزي عن علاقة جكرمش بالسلطان السلجوقي محمد شاه، وكيف أن الأخير قام بعزل جكرمش عن الموصل وأعمالها وأقطعها إلى الأمير جأولي سقاوة سنة (٥٠٠هـ)، والسبب في ذلك أن السلطان محمد كان قد ندب جأولي إلى قتال الافرنج أو الصليبيين في الشام ودفعهم عن طرابلس، وكتب إلى سيف الدولة صدقة بن مزيد امير الحلة وإلى جكرمش يأمرهم بتقديم المساعدة لجأولي وامداده بالرجال والاموال والخروج معه للجهاد، إلا أن صاحب الموصل جكرمش رفض تقديم يد المساعدة لجأولي وخرج لقتاله[٦٨]. فنزل جأولي قلعة السن[٦٩] ونهبها، ثم سار إلى جكرمش، وقاتله، فظفر به جأولي وقتله، واستباح عسكره، وتمكن ابن جكرمش من الهروب إلى الموصل وكتب إلى قلج ارسلان بن قُتُلمش يستمد العون منه مقابل أن يسلم له الموصل، ووافق قلج على ذلك، فسار في عسكر له، ووصل نصيبين ودخلها، وكذلك جاء جأولي إلى نصيبين، واقتتل الطرفان، ثم غادرها جأولي إلى الخابور، وعندما علم أن قلج ارسلان يطارد عسكره، جاء إلى الرحبة ونزل اليها وتمكن من فتحها عنوة بمساعدة من بعض اهلها المتواطئين معه، وقد حاول واليها محمد الاستنجاد بقلج ارسلان غير انه لم يفلح، وتمكن جأولي من القبض عليه

---

(٦٢) الجميلي، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية، موسوعة الموصل، مج٢/١٢٣.

(٦٣) مرآة الزمان، ١٩/٤٩١.

(٦٤) الجميلي، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية، موسوعة الموصل، مج٢/١٢٣.

(٦٥) مرآة الزمان، ١٩/٥٢٨.

(٦٦) الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، ط٣، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٨١.

(٦٧) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ١٩/٥٢٨.

(٦٨) المصدر نفسه، تحقيق: ابراهيم الزيبق، ٢٠/١٤.

(٦٩) السن: هي مدينة على نهر دجلة فوق تكريت لها سور وجامع كبير وفيها أيضا كنائس وبيع للنصارى. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن حموي، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، د.ت)، مج٣/٢٦٨.

وحبسه. ثم غادر جأولي الرحبة إلى ماكسين يريد الموصل ومعه جنده، وقصدوا عسكر قلج والتقى الفريقان يوم الخميس في التاسع من شهر شوال سنة (٥٠٠هـ)، وكان من نتيجة هذه المعركة أن انهزم عسكر قلج، كما تمكن جأولي من الانقضاض على قلج وضربه بالسيف عدة ضربات فلم تؤثر فيه، إلا أنه سقط في الخابور فغرق ووجد بعد أيام ميتاً. وبعد هذه المعركة رحل جأولي إلى الموصل، ولما وصلها وجد ابن قلج ارسلان قد دخلها، فحاصرها، فسلموها اليه من دون قتال، وتمكن من القبض على ابن قلج وسيَّره إلى السلطان محمد، فلم يزل مقيماً عنده إلى سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م) وبعد ذلك هرب إلى مملكة أبيه ببلاد الروم[٧٠].

ومما يذكر أن الامير جأولي سقاوة استمر في حكمه للموصل إلى سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م) وهذه السنة أصبح فيها الأمير والقائد العسكري شرف الدين موجود بن التونتكين السلجوقي حاكماً على الموصل بأمر من السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه[٧١] وطرد مودود جأولي من الموصل. ومما تجدر الإشارة اليه في هذا السياق أن سبط بن الجوزي لم يورد في كتابه (مرآة الزمان) نصاً عن سبب عزل جأولي سقاوة وتولي مودود عوضاً عنه، إلا أن سبط ابن الجوزي توسع في الحديث عن جهاد موجود ضد الفرنج طوال مدة ولايته للموصل فضلاً عن ذكر حادثة اغتياله في دمشق سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م) ولم يذكر اليوم والشهر واكتفى بذكر السنة فقط. وتتلخص هذه الحادثة بأن موجود توجه إلى دمشق لقضاء فصل الشتاء والاستعداد لاستئناف الجهاد في فصل الربيع؛ إلا أنه لم يلبث أن لقي مصرعه بجامع دمشق، فبعد أن قضيت الصلاة، خرج إلى صحن الجامع، ويده في يد صاحب دمشق طغتكين (٤٩٧-٥٢٢هـ/١١٠٣-١١٢٨م)، فوثب عليه رجل من بين الناس "وضربه بخنجر أسفل سرته ضربتين إحداهما نفذت إلى خاصرته والأخرى إلى فخذه، والسيوف تأخذه من كل ناحية، وقُطِعَ رأسه ليعرف شخصه فما عُرِفَ وأُحرق"، وكان مودود صائماً، فحمل إلى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال: "لا لقيت الله إلا صائماً، فمات من يومه". ودفن هناك في دمشق، وبقى مدفوناً إلى شهر رمضان عندما بعثت زوجته وولده من الموصل من حمله في تابوت إلى الموصل فشيع ودفن هناك[٧٢]. وفي هذا السياق لم يرد سبط ابن الجوزي إلصاق التهمة بطغتكين وقال إن ذلك "ليس بصحيح فإن طغتكين كان أحب الناس اليه، وحزن عليه حزناً لم يحزنه على أحد وشق ثوبه عليه وجلس في عزائه سبعة أيام وتصدق عنه بمال جزيل"[٧٣]. ومما سبق يبدو أن سبط ابن الجوزي أورد لنا روايتين حول مقتل شرف الدين مودود.

ولما بلغ السلطان محمد مصرع مودود؛ بادر إلى إقطاع الموصل والجزيرة الفراتية إلى أبي سعيد أق سُنقر البُرسقي[٧٤] الحاجب التركماني، الملقب بقسيم الدولة سيف الدين وهو قائد حاكم مسلم اشتهر بصلاحه وعدله وكان حسن السيرة، وكما هو واضح من اسمه فهو من قبائل الاتراك من قبيلة تعرف باسم "ساب يو" وهي قبيلة تمتعت بمكانة رفيعة عند السلاجقة الاتراك[٧٥].

---

(٧٠) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٠/١٤-١٦.

(٧١) المصدر نفسه، ٢٠/٣٧.

(٧٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٠/٧٤-٧٥.

(٧٣) المصدر نفسه، ٢٠/٧٥.

(٧٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٧٥) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ١٩٩٧)، ١/١٢٩.

وفي هذا الشأن طلب السلطان محمد من الأمير أق سنقر أن يتوافق هو والأمير عماد الدين زنكي وأن يتشاورا في المصلحة، وذلك لنهضته وشهامته[٧٦]. وفيما يخص بعلاقة هذا الأمير بالسلاطين السلاجقة، فقد ذكر سبط ابن الجوزي أنه في شهر ربيع الأول من سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م) قامت الحرب بين السلطان محمود (٥١٢-٥٢٦هـ / ١١١٨-١١٣١م) وأخيه مسعود، ولم يشر سبط ابن الجوزي إلى سبب هذه الحرب، حيث كان مسعود هو المعتدي، وحاول السلطان محمود أن ينهي الخلاف باللين، إلا أن مسعود رفض ألتقيا بباب همذان، وبجهود من اق سنقر أنتهى الخلاف بين الطرفين وطلب الأمان لمسعود من أخيه محمود ولبى طلبه الأخير وبذلك انتهى الخلاف بينهما بجهود أق سنقر[٧٧].

وأما عن مقتل أق سنقر، فقد ذكر سبط ابن الجوزي أنه في سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) قُتل أق سنقر. ووصف سبط ابن الجوزي كيفية قتله على يد نفر من الباطنية تنكروا بزي الصوفية وهو يصلي الجمعة مع العامة في المسجد الجامع بالموصل، وفي ذلك قال: "فدخل يوم الجمعة جامع الموصل ليصلي فجاء إلى المقصورة وفيها جماعة من الصوفية لهم عادة يصلون فيها فما استرابهم فدخل في الصلاة وتأخر عن أصحابه فوثب عليه ثلاثة في زي الصوفية فضربوه بالسكاكين فلم تعمل في جسده للدرع الذي كان عليه فضربوا رأسه ووجههُ وضربوه حتى قتلوه..."، وكان هذا الأمير شجاعاً مقداماً عادلاً ومحسناً في التعامل مع رعيته، فحزن عليه الناس وأقاموا ابنه عز الدين مسعود خلفاً عنه في حكم الموصل[٧٨]، غير أن ولايته لم تستمر سوى عام واحد، وبوفاة عز الدين مسعود ينتهي عصر الأمراء السلاجقة في الموصل[٧٩].

٢- جهاد أمراء الموصل ضد الصليبيين:

تمتع الأمراء السلاجقة في هذه المرحلة بنفوذ واسع في الموصل وإقليم الجزيرة الفراتية، وكان موضع تقدير للمسلمين بسبب تزعمهم لحركة الجهاد ضد الغزاة الصليبيين الذين اجتاحوا بلاد الشام أواخر القرن (الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد). ومارس حكام الموصل في الفترة ما بين عامي (٤٨٩-٥٢١هـ/ ١٠٩٥-١١٢٧م) دوراً بارزاً في حركة هذا الجهاد، نظراً لطبيعة موقع الموصل الحصين بعيداً عن الأخطار المحتملة لأي هجوم صليبي من ناحية، ولكونهم يمثلون حلقة الوصل بين سلاطين السلاجقة والإمارات الإسلامية في إقليم الجزيرة وشمال الشام من ناحية أخرى[٨٠].

ومن المواضيع المهمة التي تطرق لها سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان حديثه عن حكام الموصل وجهادهم ضد الصليبيين، إذ أشار إلى أنه في سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) اجتمع ملوك الإسلام بالشام وهم رضوان حاكم حلب، وأخوه دُقاق، وطغتكين حاكم دمشق مع كربوقا حاكم الموصل لمنازلة الفرنج والتضييق عليهم في انطاكيا التي سيطروا عليها، غير أن المسلمين خسروا هذه المعركة بسبب دهاء ومكر مقدم الفرنج صنجيل الذي رتب حيلة مع راهب لهم أدت إلى سقوط انطاكيا بيد الفرنج في هذه السنة[٨١].

---

(٧٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٥/٢٠.

(٧٧) المصدر نفسه، ج ٨ ق٨٩/١-٩٠.

(٧٨) المصدر نفسه، ج٨ ق ١/ ١١٦-١١٧

(٧٩) الجميلي، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية، موسوعة الموصل، مج ١٢٧/٢.

(٨٠) الجميلي، إمارة الموصل، ص ١٩٧.

(٨١) مرآة الزمان، ٤٩١/١٩-٤٩٢.

أما جكرمش فلم يكن غافلاً عن مخططات الغزاة وأهدافهم التوسعية، فقد اتفق مع سُكمان بن أرتق حاكم ماردين في شهر شعبان من سنة (٤٩٧هـ/ ١١٠٣م) على الرحيل إلى رأس العين عازمين على لقاء الفرنج وقتالهم، وقد انتصر المسلمين في هذه المعركة وقتلوا من الجنود الصليبيين أعداداً كبيرة. وفي ذلك قال سبط ابن الجوزي: "ونهض بيمند وطغتكري من أنطاكيا إلى الرها بالعساكر لينجدا صاحبها وعرف المسلمون فساروا إلى قريب الرها فصادفوهم والتقوا، فنصر الله المسلمين عليهم، فقتلوا منهم عشرة ألاف ما بين راجل وفارس، وانهزم بيمند وطغتكري في نفر يسير، فقويت قلوب المسلمين"[٨٢].

وفي عهد حاكم الموصل مودود بن ألتونتكين الذي كان رجلاً عسكرياً بارعاً بعيد النظر، فقد أمضى مدة ولايته للموصل في النضال ضد الفرنج. وقد أدرك ضعف إمارة الرها الصليبية وضرورة توحيد قوى العراق والجزيرة وبلاد الشام لمقاومة الغزو الصليبي[٨٣]. ففي سنة (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م) قاد حملة لحصار الرها، وتوجه إلى حلب لحمايتها من تهديد الفرنج، وتمكن من استحصال أمر من السلطان محمد بن ملكشاه بجمع قوى أمراء الجزيرة وغيرها، فاجتمع أمراء تبريز وهمذان وديار بكر وماردين تحت قيادته سنة (٥٠٤هـ/ ١١١٠م). وفي سنة (٥٠٥هـ/ ١١١١م) كرر الهجوم على الرها[٨٤].

أما في عهد الأمير أق سنقر البرسقي، فقد كانت له صفحة مشرفة في جهاده ضد الصليبيين. وقد أوضح سبط ابن الجوزي أنه في سنة (٥١٠هـ/ ١١١٦م) ورد الخبر بأن بدران بن صنجيل حاكم طرابلس جمع وحشد وسار إلى البقاع، وكان البرسقي حاكم الموصل قد وصل إلى دمشق لمساعدة الأتابك طغتكين، فتلقاهُ الأخير وهجما على الفرنج، فوضعوا فيهم السيف قتلاً وأسراً، وقتل نحو ثلاثة آلاف مقاتل وهرب ابن صنجيل وغنم المسلمون خيلهم وسلاحهم ورجعوا، ورجع البرسقي إلى الموصل، وقد استحكمت المودة بينه وبين طغتكين[٨٥]. كذلك بين سبط ابن الجوزي كيفية تملك البرسقي لمدينة حلب سنة (٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، فأشار إلى أن الفرنج عندما أجتمعوا ونزلوا على حلب وضايقوها، قلت الأقوات عندهم وأشرفوا على الهلاك، فأرسلوا إلى الأمير أق سنقر حاكم الموصل يطلبون منه النجدة لإنقاذهم ويشرحون له حالهم، فسار إليهم في شهر ذي الحجة من هذه السنة مع عسكره. وعندما علم الفرنج بذلك، ولوا منهزمين وتبعهم جند أق سنقر فقتلوهم وأسروا منهم، وفتح اهل حلب الأبواب لأق سنقر وجيشه، وفرحوا بقدومه فعدل فيهم وجلب إليهم الأقوات فرخصت الأسعار وطابت القلوب[٨٦].

الخاتمة:

يعد كتاب (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان) من أهم مؤلفات سبط ابن الجوزي وأشهرها، لما يتضمنه من أحداث موثقة وأخبار موسعة، وهو من التواريخ الإسلامية الحولية، إذ اتخذ فيه سرد الأحداث منهجاً له ثم ألحق الوفيات في السنة الواحدة. لذلك، هو موسوعة تاريخية كبيرة لاشتماله على أحداث فترة زمنية طويلة تمتد من ذكر بدء الخليفة إلى أحداث ووفيات سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م). ومن بين المواضيع المهمة التي تناولها سبط ابن الجوزي في كتابه (مرآة الزمان)، تاريخ السلاجقة، فقد أعطى لهم في كتابه مساحات واسعة، لاسيما المقاومة السلجوقية للصليبيين وما قام به الحكام المحليون، كالأمراء السلاجقة في مدينة الموصل من مقاومتهم للصليبيين وصولاً إلى الدولة الزنكية، فقد أشار إلى البعض من الأمراء السلاجقة الذين حكموا الموصل

---

(٨٢) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان، ٥٢٩/١٩.

(٨٣) الجلبي، موسوعة أعلام الموصل، مراجعة: هاشم يحيى الملاح، كلية الحدباء الجامعة، (الموصل: ٢٠٠٤)، مج ٢٧٤/٢.

(٨٤) للمزيد من التفاصيل ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٧/٢٠-٣٨، ٤٣-٤٥، ٤٨.

(٨٥) المصدر نفسه، ٩٥/٢٠.

(٨٦) المصدر نفسه، ج٨ ق ١/ ١١٣-١١٤.

وهم: قوام الدولة أبو سعيد كربوقا، وشمس الدولة جكرمش، وقلج ارسلان، وجأولي سقاوة، ومودود بن التونتكين، واق سنقر البُرسقي. وتميزت المادة التاريخية التي قدمها عن هؤلاء الأمراء بالاختصار حيث ركز فيها على الجوانب السياسية والعسكرية، إلا أنها تميزت بكونها مادة متنوعة في مضامينها التاريخية تتأول فيها أمراء الموصل في العصر السلجوقي وكيفية سيطرتهم على الموصل، علاقة أمراء الموصل بالسلاطين السلاجقة، ومن ثم جهاد هؤلاء الأمراء ضد الصليبيين.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

٢- تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط٣، دار الافاق الجديدة، (بيروت: ١٩٨٠).

٣- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٤- مشيخة ابن الجوزي، دار الغرب الإسلامي، (اثينا: ١٩٨٠)،

٥- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ/١٩٥٦م).

٦- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، (بغداد: د.ت).

٧- الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

٨- معجم البلدان، دار صادر، (بيروت: د.ت).

٩- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

١٠- وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ١٩٩٧).

١١- الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م):

١٢- سير اعلام النبلاء، جزء ٢٣، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال سرحان، ط١١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (بيروت: ٢٠٠١).

١٣- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م):

١٤- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الجزء ٨، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن: ١٩٥١م).

١٥- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات، كامل الخراط، عمار ريحاوي، محمد انس الخن، إبراهيم الزيبق، الجزء ١، الجزء ١٩، الجزء ٢٠، ط١، دار الرسالة العالمية، (بيروت: ٢٠١٣).

١٦- السلامي، ابو المعالي محمد بن رافع (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

١٧- تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار، صححه وعلق حواشيه: عباس العزاوي، ط٢، الدار العربية للموسوعات، (بيروت: ٢٠٠٠).

١٨- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

١٩- تاريخ الخلفاء، مطبعة منير، (بغداد: ١٩٨٢).

٢٠- ابن شداد، عز الدين ابو عبد الله بن علي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م):

٢١- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الجزء ٢، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (دمشق: ١٩٦٢).

٢٢- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

٢٣- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، دار الافاق الجديد، (بيروت: د.ت).

٢٤- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

٢٥- البداية والنهاية، ط٢، مكتبة المعارف، (بيروت: ١٩٧٧).
٢٦- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م):
٢٧- الدارس في تاريخ المدارس، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٠).
٢٨- اليونيني، قطب الدين ابو الفتح يوسف بن محمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م):
٢٩- ذيل مرآة الزمان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر اباد الدكن: ١٩٥٤

ثانياً: المراجع

١- بروكلمان، كارل:
٢- تاريخ الادب العربي، ترجمة: السيد يعقوب بكر، مراجعة: رمضان عبد التواب، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٦٧).
٣- الجلبي، بسام إدريس:
٤- موسوعة أعلام الموصل، مراجعة: هاشم يحيى الملاح، كلية الحدباء الجامعة، (الموصل: ٢٠٠٤)
٥- الجميلي، رشيد عبد الله:
٦- إمارة الموصل في العصر السلجوقي (٤٨٩-٥٢١هـ)، ط١، مطبعة اوفسيت الحديثي، (بغداد: ١٩٨٠).
٧- الموصل في عهد السيطرة السلجوقية ٤٨٩-٥٢١هـ/ ١٠٩٥-١١٢٧م، موسوعة الموصل الحضارية، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل: ١٩٩٢).
٨- الصائغ، سليمان:
٩- تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، (مصر: ١٩٢٣).

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١- ال فتاح، شكيب راشد:
٢- سبط ابن الجوزي مؤرخاً للحروب الصليبية (دراسة في سيرته ونصوصه التاريخية)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل: ٢٠٠٧)

رابعاً: الدوريات

٣- خليل، عماد الدين:
٤- (قوام الدولة أبو سعيد كربوقا)، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، (الموصل: ١٩٧٤)، العدد ٥.
٥- المستادي، ريهام:

(الدولة الخوارزمية ومواجهتها للغزو المغولي)،)، دورية كان التاريخية، السنة: ٢٠١٠، العدد ٨٨، والبحث نقلاً عن المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الإلكتروني: www.ivsl.org